ط ٨٢٩
ع ١١١٦٠

الزهرة

﴿ فى نظام العـــالم والامم ﴾

تأليف

﴿ الشيخ طنطاوى جوهرى ﴾

(مدرس اللغـة العربية بالمدرسـة الخديوية)

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(مطبعة مدرسة والدة عباس باشا الاول بشارع الحلمية بمصر)

سنة ١٣٢٢ هجرية — ١٩٠٤ ميلادية

ط ز

استلفات

هذه الرسالة نموذج كتابنا (نظام العالم والامم) المشتمل على نحو ٧٠٠ صحيفه وقد لخصناه في هـذه الزهرة تعجيلا للثمرة وليقف القارئ على مقاصد الكتاب قبل طبعه وليكون على بصيرة وبينة مما اشتمل عليـه ولنشوق محبي المعارف الى اقتنائه بجمال زهرته

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا جميل الصنع على إبداعك فى مخلوقاتك واتقانك في مبدعاتك ونصلى ونسلم على نبيك ونوجه اليك نفوساً مشوقة بغرائزها الى ما يحيط بها من العالم وما يكتنفها من الامم وسياساتها وما المناسبة بين العالم ونظامه والامم وسيرها فكم من حسرة تعترى العقلاء حين تتخطفهم المنون وهم يجهلون هذا الجمال والحسن والبهاء فى السماء وكواكبها والارض وزينتها وذلك الاعتبار في الامم واحوالها

أيها الانسان تأمل فى نفسك عند خلواتك فارغا من الهموم تجد قلبك يطالبك بالاحاطة بما تراه العيون وتتجسسه الظنون ثم يناجيك هل هذا العالم الذى يحيط بى سائر على

نواميس صحيحة وقوانين منتظمة ؟ وهل ما اسمعه في الكتاب المجيد من قوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل) (وكل شيء عنده بمقدار) (والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) هل هذا كله سائر على نواميس صحيحة بحيث يوقن الانسان بذلك إيقانا تاماً ثم تأمل الناس حولك تجدهم لايخرجون عن ثلاث احوال : قسم وهم السواد الاعظم بمعايشهم مشغولون من الضروريات والحاجيات والكماليات والزينة وقسم يسترقون السمع عن تلك العجائب ولكنهم حائرون لايدرون مايقولون وقسم ارتقت بصيرته عن السابقين فادرك ماجهلوه وذكر ما نسوه وعلم ان هذا العالم من ناطق وصامت وجماد وحيوان وزرع ونبات وحدائق وجنات وانهار جاريات وعيون نابعات وجبال شامخات وثلوج متراكمات وبحار واسعات واسماك سابحات وانوار باهرات ورياح ذاريات

وسحاب سائرات كل ذلك على نواميس محدودة وحكم معقولة

ولقد بعثنى على هذا النمط من العلم مادعينا اليه من الآيات كقوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء وأن عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا)

وقد اجمع العلماء ان الفكر في مثل ما انتهجنا غاية عبادة العلماء ونهاية حكمة الحكماء . ومن العجيب امتزاج نهاية اللذات والسعادات بالعلوم والعبادات فترى ان هذا النهج من الحكم موجب لسعادة الدنيا بالماديات والآخرة بالادبيات . وأى سعادة ارقى من عقل حصل على يقين أن كل ما يراه محكم ومنتظم سائر على قوانين فهمتها نفسه وألفها فكره ففى ذلك فليتنافس المتنافسون . فما اشد شوق الاذكياء الى اليقين

﴿ مقارنة ﴾

(بين آراء علماء المشرق والمغرب)

ومن العجيب ان يتحد على هذا المبدإ الشرقى والغربى . فهل لك ان تعيرني التفاتة وتصغى الى ما انقله لك عن العالم الشرقى المتوفى في اوائل القرن الخامس من الهجرة حجة الاسلام الغزالي وعن العالم الغربى السياسى الكبير جون لبك الذى يشاركنا فى الحياة ويتمتع معنا بضوء الشمس وهبوب النسيم وتتأمل سيدى كيف اتفق الرجلان واصطحب العالمان واتحد الرأيان . أوليس من العجب بل من أهنأ السعادة في الحياة ان يبحث كاتب هذه الرسالة عن هذا الاتحاد بين الشرقى والغربى فيعثر عليه وها أنا أملي عليك أولا كلام حجة الاسلام الغزالي ثم نطابقه بكلام العالم الغربى المصرى قال الغزالي رحمه الله في باب الحب (ان المدركات كلها التي هى شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة

العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا واعضاؤه فقال « سبحان الله » وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الانس بها . ولو فرض انه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله ان يذهب لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها . فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك فى الشهوات هو الذى سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة . فالناس فى طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة . فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذا قيل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد ... إلا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ... فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

وقال العلامة جون لوبك (ما اسعد الناظر في جمال الخليقة إذ تتزين له العوالم وتسفر عن ابهى جمالها وزينتها وما فصول السنة الا احباؤه القدماء واصدقاؤه الندماء يجددون له اللذات ويعيدون له السعادات واذا مشي منفرداً تجلى له من الطبيعة ما تقر به عينه ويشعر منه باللذة والسعادة فتطل له الازهار من سياجها او تخرج باسمة من ارضها وتغنى له الطيور على اشجارها محاطة باوراقها النضرات وازهارها الباسمات فاذا انقضت تلك السنون اعقبها الذكرى السارة وخلدت في صحائف مخيلته وذاكرته ما يرتاح له ضميره . فهو إذن ما بين حاضر جميل وغابر لذيذ

الناس فى هذه الدنيا فى غمرة ساهون منغمسون في تيارها تحت رحمة امواجها فلا مناص لهم منها ولا قوة لهم على دفع حوادثها الا فى أويقات قليلة . اقول فكأنه اقتبس من مشكاة قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله

ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) ثم قال

وليس حب الطبيعة ما يعتاده كثير ممن لا يعلمون فيجمعون ماجمل من الازهار وينثرونه على الارض. ولعمري كيف يهان هذا الجمال الباسم والحسن الباهر . أهذا حب الطبيعة وجمالها ساء ما يحكمون . إضاعة الجمال واهانته أشنع اضاعة وانحسها . اذا تصورنا ان هذه الدنيا طالت ايامها وقلت حوادث الشروق والغروب فلم يكد يسمع الرجل بالصباح والمساء الا مرة واحدة في عمره لاشتاق الى ذلك اشد الاشتياق وفرح بما يبدو له من ذهب اصفر فاقع. جمال الشمس فى شروقها وغروبها سعادة في نفسه يترقرق حسنه على بساط البسيطة في الصباح والمساء لكننا لانعير جمال الطبيعة التفاتاً لأنها حاضرة لدينا مشاهدة امامنا صباحاً ومساء فهانت على النفس بتكرار المشاهدة . قال سبكير عن ارسطاليس اذا تصورنا قوماً عاشوا تحت طباق الثرى فى منازل جميلة مزدانة بالتماثيل والصور قد أوتيت من كل شيء حتى يحسبهم من من اطلع عليهم انهم اسعد العالم حظاً فى الحياة وارقاهم منزلة

فاذا فرض ان الارض انشقت فخرجوا من تحتها ونظروا هذا العالم فلا جرم انهم ينسون نعيم بيوتهم الأرضية ويهجرونها ويخرجون سراعاً . فياليت شعري كيف يكون سرورهم وفرحهم وتأملهم اذا نظروا هذه الأرض وجمالها والبحار واتساعها والانهار وجريانها والرياح وهبوب عواصفها والسحاب الملقحات والشمس ونورها واشراقها وجمالها وقدرة الخالق وعظمته فى ابداعها وتأملوا القمر وهو يبدو دقيقاً ثم يتسق كما قيل

المرء مثل هلال حين تبصره ... يبدو دقيقاً ضئيلا ثم يتسق
يزداد حتى اذا ما تم اعقبه ... كر الجديدين نقصاً ثم يمحق

ثم تأملوا النجوم وهي تتلألأ فى السماء مشرقة بهجة وء فواحسابها ونظامها البديع فى شروقها وغروبها فاذا تأملوا ذلك كله ولاحظوه فلا جرم يستنتجون منه ان لهذه الكائنات صانعاً مدبراً قادراً مهيمناً عليها وان هذه العوالم مصنوعات له اه

اقول أليس هذا قبسة من مشكاة قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون

والذى نزل من السماء ماء بقدرٍ فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) وقوله عز وجل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون) أي الى اى مكان يصرفون اذ لامحيص لهم عما اجمع عليه خواص نوع البشر وقوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون) ثم بعد ان ذكر هذه العجائب التى شغف بها الغربيون أفاد ان الامم المتمدينة المسيطرة على العالم هى التى عرفت هذه العلوم وان ايَّ امة خلت منها فانها تقع تحت سيطرة غيرها لامحالة فاشار لهذا كله بقوله تعالى

عقبها (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون) فانظر كيف ذكر خلافة الأرض بعد ذكر هذه العجائب الجميلة ولقد ذكرت لك أيها الاخ مقارنة بين علمائنا السابقين وعلمائهم العصريين وآيات من القرآن فانظر كيف دلت على حكمة بالغة وعظة تامة وتأمل الآن فى آباء الاروبيين وما كانوا يدرسونه أيام شباب الدول الاسلامية وكيف كانت تعاليمهم وخرافاتهم فاذا قارنت بين الآباء فارجع البصر وقارن بين الابناء لتقف على مراكز الاولين والآخرين

﴿ سلف الافرنج ﴾

﴿ نقلا عن السير جون لبك ﴾

ذكر آباء الافرنج انه كان لهم آلهة متعددون كاله الرحمة (يلدر) وإله الحسد (لكى) وغيرهما فاما إله الرحمة فانه لم يمنح البقاء السرمدى فاشفق عليه اخوانه الآلهة ورفعوا أكف

الضراعة وابتهلوا الى إلههم الاكبر (ثور) فاجاب دعاءهم وقبل ان يبقى ابداً سرمداً على شريطة ان تؤخذ العهود والمواثيق على جميع النباتات والحيوانات أن لا يمسوه بسوء فنزلت زوجة إله الرحمة من السماء مقر عظمتها وملكها واخذت على جميع الاشجار عهوداً ومواثيق فنزل وراءها إله الحسد (لكى) وقال لابد من أن أدبر حيلة . فتشكل بشكل غراب وكانت الغربان كلها اذ ذاك بيضا فسقط على شجرة فغطاها . فلما مرت زوجة يلدر وهى تأخذ العهود على الشجر ولم تر تلك الشجرة المغطاة بالغراب الابيض صاحت الشجرة من تحته قائلة « لا تنساني لاتنساني » فطار الغراب الابيض إله الحسد الى شجرة أخرى أما تلك الشجرة فأخذ عليها العهد وسميت (لاتنساني) من ذلك الوقت . ولما جاء الى شجرة أخرى غطاها بجناحيه فلم ترها زوجة إله الرحمة ثم اخذت العهود وعرجت الى السماء فقابلها الآلهة هناك وباركوا لآله الرحمة وشكروا زوجته وعاشوا فى نعيم آمنين حتى اذا كان يوم عيد وقف الناس (وهم لا يشكون في ان إله الرحمة باق ابداً سرمداً) فاخذوا يلعبون ويفرحون

بضرب (يلدر) بالرماح والمزاريق وهو مستند الى شجرة (هلى) فجاء (لكي) وغطى سهما بقطع من خشب (ميسليتس) وهى الشجرة التى لم يؤخذ عليها العهد واعطى ذلك السهم لاخي (يلدر) إله الرحمة فضربه بها فمزقت احشاءه وخرّ صريعاً فأما الشجرة فانها اصابها رشاش من الدم فأثر فى ثمارها حتى اضحت حبوبها ملوثة بالحمرة شعاراً بالحداد على ذلك الآله القتيل ظلما وتبقى كذلك امد الدهر . وهكذا الشجيرة التي لم يؤخذ العهد عليها المسماة (ميسليتس) حزنت على ذلك الآله فخرجت حبوبها كدموع العين من ذلك الحين أما الغراب الذي تشكل بشكله إله الحسد فقد اسود ريشه وبقي هكذا الى يوم يبعثون اه

هذه هى الحكاية التى كان يدرسها الاوروبيون ويتلقاها كابر عن كابر وقد دلت على مبلغ علمهم في النبات او على نموذج منه ولعمرك انها لا توازى الا علوم الاطفال . وهذه الحكاية تدل على ما كان عليه القوم من الهمجية والوحشية فقوم مات منهم إله الرحمة فى اعتقادهم اصبحوا ولا عمل لهم الا شن الغارات والفتك بالضعفاء واذا تباغض الآلهة أفلا يتباغض

العباد ؟.. شأن الحكايات والروايات انها تدل على عواطف الامم الموضوعة بينهم . وهذه دلت على مبلغ آراء القوم فى الاخلاق وعلى ما لديهم من العلوم فهل لك ياسيدي بعد ذلك ان تقرأ الآيات القرآنية وتتخيل الامة العربية اذ ذاك وهى تترنم بقوله تعالى : خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين . والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين . هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآيةً لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الارض

مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآيةً لقوم يذّكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم

فهذه وامثالها معارف عند عامة العرب الاسلاميين فأدناهم من يقرأ هذه الآيات ويعلم ان الله عز وجل اظهر قدرته وامتن على عباده بخلق السموات والارض لأنها اعظم مشاهد للانسان ولما كان الانسان اعظم نتيجة لهما اردفهما بذكره وفي عجائب خلقه ابهر دليل حيث خلقه من نطفة قذره ثم صار اكثر شيء جدلا مع أن الأليق به ان ينظر الى مبدئه ويتفكر فى ملكوت السموات والارض ثم عدد عليه صنوفاً من نعمه وضروبا من آلائه فذكر ما ينتفع به من الحيوان والنبات والماء النازل من السماء النافع لهما وذكر كثيراً من

انواع القسمين مما ينتفعون به وعجائب السموات ومنافع الكواكب
والليل والنهار لتوقف هذه الانواع عليها وذكر البحار ومنافعها
والجبال وما يهتدى به من علامات الطرق وبعبارة اوضح
اقول أن الله ذكر فى هذه الآية نعمه على عباده بخلق الحيوانات
وأن منها المآكل والملابس فنتخذ منها ملابس الشتاء
وملابس الصيف ويتخذ منها الاعراب خيامهم ثم منها ما يحملنا
وامتعتنا الى الامكنة البعيدة ومع هذا كله فهي زينة يتجمل بها
فيتسم اربابها بالأبهة والجاه لما يرى عندهم من آثار نعم الله عز
وجل وكم له من مخلوق فى الارض وفي السماء لا نعلمه فعلومنا
قاصرة على ما ننتفع به فلو بحثنا عما لا نعرف لكان ذلك جوراً
وظلما وعبثاً كمسئلة الروح وحقائق الكواكب وغيرها ثم ذكر
انه انزل الماء من السماء فهو لشرابنا وطهورنا وسقينا زرعنا
وانعامنا وانه ينبت به الزرع وهو الحب الذى نقتات به كالحنطة
والشعير وما اشبههما وقدمه فى الذكر لان به قوام ابداننا وثنى
بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة وثلث بذكر
النخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها

شبه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر بقية الثمار
اجمالا ولما كانت الاجرام العلوية لابد منها لنمو هذه المخلوقات
ولنهتدى بضوئها اعقب ما ذكر بذكر تسخير الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم . فلعمر الحق ان من لم تدهشه هذه
العجائب فيوقن برب البريات لأبعد عن العقل والفهم بعد ما
بين المشرقين . فان فى بعض هذه فضلا عن جميعها دلالات
واضحات على كمال باريها وجمال مبدعها الحكيم وقدرته

وانظر رعاك الله الى ألوان الزرع كيف اختلفت مع اتحاد
الاضواء السماوية والماء والعناصر والهواء والارض وما اغفلنا
عما بين ايدينا وكيف جعل هذا احمر قانياً وهذا اصفر فاقعا
وهذا ازرق زاهراً وهذا اخضر ناضراً وهذا ابيض ناصعاً
وهذا اسود قاتما . وكل لون منها يتنوع انواعا شتى واشكالا
متخالفة فسبحانه وتعالى . ثم هذه البحار من أدل الدلائل
واعجب العجائب فقد جعل جل جلاله فى الماء جزءاً عظيما من
الملح لولاه لأنتن بطول المكث فقسد الهواء

ولا نطيل بشرح ما احتوته هذه الآيات من العجائب

الخلقية والحكم الغريبة وانما شرحها وما ماثلها من آيات تبلغ نحو سدس القرآن جميع العلوم التى يفنى الزمان وهى تتجدد وتزداد وضوحا مصداقا لقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفى انفسهم) وقوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون)

هل لك ان تنظر فى هذه الآيات كيف ابتدأ فيها بالكلام على السموات ثم خلق الانسان فالحيوان فالنبات واخذ يشرح العوالم كلها واحداً واحداً وانتهى بنتيجة استخلصها منها وهى ان لها صانعاً

ثم انظر حكاية الآلهة المتشاكسين وكيف احتال بعضهم أن قتل إله الرحمة فانتزعت من بينهم . فانظر يارعاك الله كيف خلف من بعدهم خلف قبضوا على زمام الامم بالعلم ودرس الفنون التي يشير لها القرآن ويتفكرون ويعقلون وينظرون . أما نحن فما بقى لدينا منها الا حثالات فكأننا ورثنا آباءهم وورثوا آباءنا فقلدنا قدماءهم وقلدوا قدماءنا ولم يبق لنا سوى الدعوى العمياء والتبجح بقولنا اتبعنا القرآن

﴿ القرآن والمسلمون ومتأخروا الافرنج ﴾

ثم تعجب يا أخي من هؤلاء الاقوام فى ديارهم فانك تراهم يعظمون الحكيم سنيكا الرومانى حتى انهم ليضعون حكمه فى اوائل كتبهم ويقدسونها ويقتدون بأقواله ويعولون على ارائه ثم ترى آيات القرآت بين ظهرانينا ابدع واجمل من حكمه وابهى وابين وآنق في النفوس وأروح للعقول . ولا ذكر لك طرفا من كلامه ثم اتبعه ببضع آيات من القرآن ثم اكل الامر لك في حال قوم أضاعوا اجمل نفيس لديهم وآخرين خاضوا البحار وقطعوا الفيافى والقفار وركبوا المهارى واجتابوا الصحارى واخذوا يستمدون من آيات البشر . قال سنيكا . اذا وهبك انسان ضيعة واسعة ذات اشجار وبساتين وحقول وانعام أفلا تعد ذلك منة جزيلة . ومن ذاينكر ان الأرض وسعتها وجبالها وانهارها أعظم عطية واجمل هبة من مدبر الكائنات ولو أن رجلا حباك دراهم ودنانير فلا جرم تعدها هبة ومنة عظيمة . أوليس الذى دفن المعادن تحت اطباق الصخور وكون

في ظلمات الارض الذهب والفضة وغيرهما من المعادن اكبر اعطاء واجمل هبة . ولو ان رجلا بنى لك منزلا من المرمر الجميل وزين سقفه بالالوان البديعة البهجة وزخرفه بالذهب والالماس واسداكه افلا تعدها لديك تحفة جليلة . اليس الله بنى لنا قصراً مشيداً متين البنا ثابت الدعائم قوى الاركان آمنا من البوار بالنار والخراب بالامطار سقفه مزين بأجمل الالوان وأبهاها مرصع بالدراري اللامعة والاقمار الساطعة والشموس المشرقة فضاء بالليل والنهار . وازدان بالانوار . فيه ما يحتاجه الانسان والحيوان . منه يخرج الهواء لأنفاس ترددها والضياء لاعمال نزاولها ونهتدي سواء السبيل . ويتولد الدم الذي عليه مدار حياتنا والغذاء المقيم لاجسامنا . الله عز وجل بث في الأرض من كل دابة وفرقها في انحائها وانبت فيها من كل زوج بهيج من انواع النبات متاعاً لنا ولأنعامنا . سخر الرياح تجري متصرفة بأمره مختلفات في الصيف والشتاء . الله عزّ وجل كرم بني آدم وألهمهم الصنائع والعلوم وركب فيهم النغمات وجبلهم على الاصوات المختلفات ليشتق منها نغمات

الموسيقا ويزنوا الالحان . وهل نحن غرسنا في نفوسنا اصول العلوم والصنائع أم الله هو الذي ركب فينا تلك القوى الشريفة والملكات الفاضلة . الله سيدنا أخرج من ظلمات الطين نور العقل وابرز هذه الصنائع والعلوم وجمال الموسيقا من ماء مهين اشتق من سلالة من طين (يخرج الحي من الميت) اه ماقاله الحكيم سنيكا* . وقال آخر من خمول كتابهم اكثر الناس في هذه الدنيا لهم عيون ولكن لا يبصرون بها وآذان ولكن لا يسمعون بها وأعظم منة من الله أن يفاض على المرء منحة الفهم والاعتبار وان يعبر عما شاهده بعبارات تعقل عنه اهاأليس صدر هذا القول قبسة من قوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون) وعجزه قبسة من قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان)

ولو علمت مقدار اعظامهم واجلالهم لمقام هؤلاء الحكماء

* من كتاب جمال الطبيعة للسير جون لبك

لعجبت من امة الاسلام كيف غفلت عما ابدع فى القرآن من نفائس الدرر وبدائع الحكم فى نفس هذه المناهج التى ينتهجها اكابر كتابهم

واذا كان علماء اوروبا وقادتهم يعظمون هؤلاء الكتاب فكيف بهم اذا تلوا من هذا المنهج قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) أو ما هو اخصر منه لمن كان اذكى فقال فى موضع آخر (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار) او بما هو أوجز للخاصة فقال (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم

استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) وخاطب أولي الالباب بما هو أوجز بجمعه فى خمس كلمات (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) ثم في ثلاث فقال (بديع السموات والارض) ثم فى كلمة وهى اسمه (البديع) وهكذا مما فاض به القرآن وهجره المسلمون لما ظن كثير من اهل العلم ان الفقه وحده كاف فى السعادة والحياة والدين حتى قام الافرنج فسبقونا شوطاً بعيداً في الماديات والادبيات على نحو ما ذكرنا في تلك الآيات . أولسنا نحن اولى بما حث عليه القرآن أن ندرسه ونسارع فيه ؟ ولذلك وضعت كتاب نظام العالم والأمم

﴿ مقاصد كتاب نظام العالم والأمم ﴾

ولقد جعلت هذا الكتاب تسعة اقسام القسم الاول فى شوق النفوس الى العلم وكيف كانت الاعداد منطوية فيها كامنة وكيف ألفت من الواحد اعداد لا نهاية لها وحساب

يبراهين تطابق عليها الاولون والآخرون وكيف بني على هذه الاعداد وما يتبعها من المساحات والاشكال علم الفلك وكيف اتجهت النفوس نهج ملك الملوك في أمورها العامة حتى مثلوا هذا الملك العظيم بالشطرنج والنرد واختاروا المتر مقياساً. فالنفوس البشرية على اختلاف مللها ونحلها ميالة بفطرها الى الجنوح نحو ملك الملوك وتقليده ولكن اكثر الناس لا يعلمون

القسم الثاني في الافلاك وحسابها وكيف تسير الشمس في بروجها في الفصول الاربعة وكيف اختلفت الفصول بطريقة جميلة وعبارة سهلة. ولقد حاولت في هذا المقام أن أقرب هذا العلم من اذهان الاذكياء وان لم ينظروا الكتب المرسومة ولم يزاولوا المدارس ولا درسوا هذا العلم حتى لقد اطمع ان يفهمها العامي في حقله وتدرجت من الاسهل الى السهل حتى اوصلته الى اقصى ما يرومه الاذكياء من الحساب الدقيق في سير الشمس والقمر والسنين الشمسية والقمرية والمقارنة بينها بأوضح عبارة تقرب من المتناول، وشرحت الظلال ونسبها الهندسية وكيف كان حسابها وهندستها متقنين

حتى وضحت آية (ألم تر الى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضاً يسيرا) (ولله يسجد ما في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال)

القسم الثالث في عجائب الجمادات وهنا ترى ما يبطنه العامة منثوراً منتظما فيصبح الحجر الساقط من أعلى الى اسفل بحساب معلوم مقدر كحساب الكواكب والشمس والقمر. ومن ذا يرى أعجب من ان الحجر اذا كانت سرعته في الثانية الاولى اربعة امتار ففي الثانية الثانية يكون ١٦ متراً وفي الثانية الثالثة تربع ثلاثة وتضربها في اربعة تصير ٣٦ وفي الثانية الرابعة تربع اربعة وتضربها في اربعة وهكذا تجد القاعدة بضرب مربع الزمن في امتار المسافة الاولى على هذا المنوال. وليس قصدنا درس الطبيعة لذاتها وانما اردنا ان يعلم الاذكياء ان هذه الفنون الطبيعية والفلكية هي تفصيل لمجملات القرآن الكريم وبهذا يتضح قوله تعالى (وكل شيء عنده بمقدار) (انا كل شيء خلقناه بقدر)

ولعمرى ان من طالع كتابنا هذا ظهر له ان العالم كله موزون وزنا حقيقياً . وهل بعد تساوى الاحجار والافلاك فى حسابها ونظامها مطلب لعاشق الحكمة ؟ وان العلوم الطبيعية كلها وما اكتشف منها معجزات للقرآن ومن عجب أن تدرك العقول التربيع فى الحساب مثل ٤×٤=١٦ ، ٥×٥=٢٥ ثم تراه بنفسه في الاجسام المتجاذبة والاحجار الساقطة كما تراه وغيره فى نظام الافلاك وحسابها وكيف يظهر ما استخرجته العقول واستنبطه نوع الانسان فى الخارج ظهوراً واضحاً جلياً أليس هذا هو اليقين الاكبر والسعادة القصوى للحكماء ؟ وعلى ذلك رجعت العلويات والسفليات الى منهج واحد وقانون منظم ومبدإ لا يتغير ولا يتبدل (ولن تجد لسنة الله تبديلا (ولن تجد لسنة الله تحويلا)

القسم الرابع في النباتات وأنها موزونة بميزان محدد أدق مما ذكرناه فى جواهر العلوم وميزان الجواهر ولقد حاولت فى ذينك الكتابين أن اصل الى غاية السر فى معنى الميزان فلم تحتمله طاقتى أما الآن فقد وضح فى هذا الكتاب اجلى من

الشمس بالفلسفة الحسية التى تكاد تلمس باليد وفصلنا تحليل النبات الكيماوى وقلنا هذا هو الميزان الحقيقى الذى وزن به النبات . وتعلم يا سيدى انى وقفت حياتى على الوصول لهذه الغاية حتى اطمأنت نفسي لهذا

ولقد رأيت علماء المتقدمين كانوا مغرمين بالبحث عن هذه النسب . ولنذكر لك مثالا واحداً وهو المقارنة بين القطن والقمح فالاول أثوابنا والثانى اقواتنا كيف كانت موادها واحدة واختلفت صورها باختلاف النسب ومقادير العناصر فترى البوتاسا في القطن ٣,٥ وفى القمح ٢,٦٦ والصودا ٣,٦٤ ٪ فى القطن و ٢,٦٦ ٪ فى القمح والجير ١٤,٥٣ فى القطن و٣,١٤ في القمح

ولولا خوف الاطالة في هذه العجالة لشرحت هذا المثال ووفيته ولكن أحيلك على الكتاب حتى تعلم كيف كان هذا النبات كله موزونا وزنا حقيقياً وكيف يكون الجبر مثلا فى القمح والقطن وبعبارة أخرى كيف آكل عين ما البس وألبس عين ما آكل وغاية الامر اختلفت المقادير . ما أجهل العلم وألده

الحكمة . وعليه فمواد القطن هى مواد القمح ولو اختلفت المقادير بعينها لانقلب الثوب دقيقاً وأكل أو انقلب الخبز ثوبا قطنياً ولبس . فالجير مثلا والصودا مأكولان كما هما ملبوسان واختلفا فى دخولهما في المآكل والملابس . ولاحتياج القطن للون البياض وللحرارة أعطى من الجير اكثر فبيضه واكسبه حرارة وخواص أخرى . وهذه هى الرموز التى يشير لها القرآن . فما للناس لايفطنون ؟ وما للعامة لايسألون ؟ وما للعلماء لا يفصحون ؟ . .

﴿ جمال النبات وبهجته ﴾

« فى الازهار ونظامها »

تأمل يا اخي معي ولعلك قد رأيت الأمثلة الاخيرة التى شرحناها الآن فى تركيب النبات وكيف وزنت بميزان منظم لا تغيير له ولا تبديل وهكذا الجماد والافلاك . وتأمل كيف ترى النظام باديا على ظاهر الاوراق . والازهار فى تركيبها وشكلها ولونها والحشرات الواردة عليها ونومها ويقظتها .

ولنشرح لك ذلك كله في هذه الرسالة الصغيرة لنعجل لك الفائدة قبل قراءة الكتاب الكبير ونقل لك ما قاله العلامة جون لبك الانكليزي فى هذا الموضوع لتقف على ما رآه الغربيون في الزهرة

﴿ شعر ﴾

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهاراً مشمساً قد زانه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى اذا ... حل الربيع فانما هي منظر
اضحت تصوغ بطونها لظهورها ... نوراً تكاد له القلوب تنوّر

قال العلامة ما ملخصه : كان العلماء في غابر الازمان يذكرون في رواياتهم ان الارواح كانت تهدي الازهار الى من تحبهم او تود مكافأتهم عطفاً عليهم وتلطفاً بهم وكان يظهر ذلك فى بادئ النظر أنه بضاعة مزجاة لا قيمة لها وكيف تساوى هذه الزهرة الصغيرة الهدايا الثمينة والتحف الغالية . ولكنها عند أولي الالباب قد جمعت حسناً وبهاء من جمال الطبيعة يؤدي الى النفوس سعادة والى القلوب مسرة والى العيون بهجة والى الصدور انشراحا والى الافئدة انعطافا تفوق

السعادة بها وبالتأمل فى جمالها سعادتنا بالذهب والفضة والاحجار النفيسة واللؤلؤ والمرجان

يقول كاتب هذه الرسالة وقد لمح تلك المعانى من خلال سطور الكائنات وملامح جمال المناظر الشيخ صفي الدين الحلي فقال :

ورد الربيع فرحباً بوروده ... وبنور بهجته ونور وروده
فصل اذا افتخر الزمان فانه ... انسان مقلته وبيت قصيده
يا حبذا أزهاره وثماره ... ونبات ناجمه وحب حصيده
فالورد فى أعلى الغصون كأنه ... ملك تحف به سراة جنوده
وانظر لنرجسه الجنى كأنه ... طرف تنبه بعد طول هجوده
والسحب تعقد فى السما مآتماً ... والارض فى عرس الزمان وعيده

ولنرجع الى كلام العلامة چون لبك قال : فما ألذ أوقات نصرفها فى الفلوات والخلوات ونتأمل جمال الطبيعة والذهب المنبعث من ضياء الشمس يكسو وجه الطبيعة حلة ذهبية تسر الناظرين . وليس هذا نهاية ما تراتح له النفوس من الازهار فهناك عقول ارتقت عرش العلم ولبست تاج الادب واستوت على ملك المعارف وتطلعت من شرفات الحكمة فنظرت فى

بساتينها ازهار جمالها فاخذت تتأمل فيما وراء ذلك من اشكال وألوان وصور حتي وقفت على اسرارها . ولعمرى انا اذا ادركنا سر الزهرات الصغيرات دخلنا منها الى معرفة كثير من أسرار الكائنات

ان الوقوف على اسرار الطبيعة لا يناله الا الذين صرفوا اوقاتهم فى تحصيله مع الصبر والعناية التامة والاحترام والمداومة أمد العمر . ومع ذلك فكل هذا لا يغنى شيئاً ولو وهبناه واهب قدسية وعقولا سامية كما وهب ارسطاليس وافلاطون الا الا اذا وقفنا على كلام الأوائل وحادثنا التاريخ وناجينا ماوعته الدفاتر وقابلنا الرجال فهناك ننال من هذه العلوم حظاً وافراً فان الانسان وحده لا يستطيع أن يصل الى مايريد الا بمشاركة غيره من ابناء جنسه . انتهى

﴿ لطيفة ﴾

جلست أنا وصديق لي واخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وكنا اذ ذاك نطل على ازهار باسمة . فاصغ اليها لتقف على

جمال الازهار ومحاسنها وتعلم سيدى كيف حسن وضع تلك الصور الجميلة وانتظم شملها ووزنت بميزان الحكمة والاعتدال لتفهم قوله تعالى (وانبتنا فيها من كل شيء موزون) وكيف وزن فى فروعه واغصانه وأوراقه وازهاره كما وزن في تركيب اجزائه فيما ذكرناه . وهذا ملخص من كلام السير جون لبك وضعناه لك بلسان عربي مبين لتقف منه على ما نريد فى كتابنا نظام العالم والامم قال صديقي ونرمز له بحرف (ا) وانا (ب)

(ا) صديقي انظر الى شجر السنط والغار والصنوبر والصفصاف لم جردت أزهارها عن الزينة والجمال وجملت ازهار الاشجار المتوسطة فحسن منظرها وتأرج ريحها وابتسمت ثغورها واحتوت عسلا صافياً في اسافلها تفتات منه الحشرات فهل تعلم لذلك من حكمه

(ب) سيدى قد جعل الله الاشجار الكبيرة لا تحتاج الى الرائحة الاريجة ولا جمال الهيئة ولا العسل بل هى غنية عن هذا كله أما غيرها من الاشجار فانها تحتاج لذلك بل لاحياة لها الا بعسلها وجمالها ورائحتها ولولا هذه المزايا الجميلة لانمحت

من صحيفة الوجود كما يمحى وجود النوع الانسانى بانقراض سنة التناسل بينهم

(ا) أرجو ايضاح هذا المقام فان هذا القول غامض علىّ وكيف يكون جمال صورة الزهرة سبباً لبقاء النبات (ب) اعلم ان الزهور على اختلاف اجناسها وتباين اشكالها وتنوع اصنافها يحتاج بعضها الى بعض فمنها ما خلق الله فيها الطلع ومنها ما يقبله وكما أن النخل فيه ذكور واناث وطلع الأول يلقح الثانى فهكذا جميع الاشجار ذكر انها تلقح اناثها مثل الورد والرمان تلقح بواسطة الحشرات . والحشرات لن تنتب اجسامها وتطير في الهواء بلا داع يدعوها الى ذلك وهل من باعث اقوى من العسل الذى تشربه من أسفل الزهرة والرائحة التى تدلها عليها وقت الغلس وجمال اللون وبهجته التي تهديها في اوقات الضياء والنور . أما الاشجار الكبرى كالصنوبر والغار فانها اكتفت بتدبير آخر وهى الرياح التي سخرت تحمل اللقاح من ذكرها لانثاها . وقد دبر الله ذلك اللقاح لجعله كثيراً جداً حتى اذا حملته الرياح وتبعثر منه أم اجزائه فما

بقى كنى اناث الازهار من ذلك النوع . واذا كان بعض الزهر فيما لايحتاج الى الريح قد تخرج الواحدة منه ما بين ثلاثة وأربعة ملايين خردلة من اللقاح فما بالك بما يحتاج للريح فلا بد أن يكون اضعاف هذا بما لا يتناهى وبهذا التدبير فى الاولى والآخرة تخرج الأثمار والحبوب ويخلق شجر آخر وقد شوهد في بلاد اسكتلانده غبار من طلع بعض الاشجار يمر في الهواء كأنه سحب تزجيها الرياح ثم يؤلف بينها ثم تصير ركاماً ويراها الناس بأعينهم تلقح اناث تلك الاشجار كما ينزل المطر على الارض فتحيا بعد موتها مصداقاً لقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين) (ومن معانى هذه المادة الحمل فما هى الرياح تحمل الماء واللقاح والاصوات لتصل الارض والازهار والاذان) وهذا كله يجرى ونحن ساهون لاهون والقوم فى بلادهم تبرز معانى كتابنا المقدس على ايديهم ونحن غافلون ومدبر الكائنات من فوقنا يلقح اشجارنا ويحكم امرها ولا دخل لنا ولا حول ولا قوة (أمَّن خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء

فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون)

(ا) ها انت افهمتنى ظاهرة القاح الرياح للازهار ولكنى لا أعلم كيف تحمل الحشرات اللقاح وهل تقصد ذلك وهل عندها علم وادراك حتى تنقد اثمان العسل والتمتع بالازهار بان تنقل الطلع من شجرة الى اخرى (ب) اعلم يا سيدي ان الزهرة مركبة من اوراق خضر تغلفها من الظاهر ويسميها علماء النبات بالكاس داخلها اخرى ملونة بالألوان الجميلة يسمونها التويج تصغير تاج تشبيهاً لها بتيجان الملوك المرصعة بالجواهر الثمينة وقد علمت مما ذكرناه آنفاً انها ارفع قيمة عند الحكماء وفى داخلها سوق تحمل الطلع فى حصن حصين بما احاط بها من تلك الأوراق وفي اسافلها عسل فترى الحشرات تلك الالوان الجميلة فتسرع طيرانها اليها ليلا أو تشم رائحتها في الظلام فتشرب العسل فتلمس ظهورها ذلك الطلع فيرش عليها كالدقيق فتذهب الى الزهرة الاخرى من ذلك النوع فيحصل تلقيحها ولا علم للزهرة بذلك ولا للنحلة وانما كانت

تسعى لمنفعة انفسها وانما ذلك تدبيره تعالى (وما كنا عن الخلق غافلين) وهذا قد كنا اوضحناه فى كتابنا جواهر العلوم ولكن الامر المدهش هنا تركيب الزهرات لمناسبة الالقاح وترتيبها وتزيينها حتى قيل ان الازهار مدينة للحشرات فى جمالها وعسلها فلعمرك لولا طواف الحشرات عليها ما منحتها يد القدرة الالهية ذلك الجمال (وان من شيء الاعندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) وما الحشرات الا كنواطير البستان (بستانيين) فان ناطور البستان يختار من اجمل الأشكال وأحسنها ليبدع فى اتقانها ويزيد فى تنظيمها وجمالها فكذلك هذه الحشرات بطوافها على هذه الاشجار زينت بتلك الزينة تشويقاً لها لكن الناطور يختار تمييزه وهذه بعناية الحكمة الالهية وأعجب من هذا تدبير اشكال الازهار على وفق هذا الالقاح

(ا) وكيف ذلك

(ب) تعلم ان اوراق التويج قد تنظم فتصير كأنها انبوبة في داخلها تلك الاعضاء التي ذكرناها آنفاً وقد يشاهد فى بعض الزهر انابيب حولها شعرات قريبات من العسل فى

اسفل الزهرة على جوانبها من الداخل وتلك الانبوبة مستطيلة ضيقة وما ذلك الا لتنبذ كل حشرة من الفراش تريد الدخول وذلك أن ضيق الانبوبة وبروز تلك الشعرات كافيان فى منع الحشرات من ذلك ما عدا النحل فانها اعطيت قوة بها تقتحم تلك الانبوبة ولا تبالي بأسنة الوبر . وماعدا النحل من الحشرات فلا قدرة له على حمل الطلع فى ذلك النبات . فلهذا منع من الدخول فالحكمة الالهية قضت ان الفهم بالغرم واذا كان ماعدا النحل عاجزاً عن حمل الطلع في شجر مخصوص فمنعه أمر محتوم

أو ماترى الازهار مامن زهرة ... الا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على افنانها ... تلقى فنون الشجو في أسلوبها
تشدو وتهتز الغصون كأنما ... حركاتها وزن على تطريبها

القاضي ابو الحسن بن زنباع

أبدت لنا الايام زهرة طيبها ... وتسربلت نضيرها وقشيبها
واهتز عطف الارض بعد خشوعها ... وبدت بها الغماء بعد شحوبها
وتطلعت فى عنفوان شبابها ... من بعد ما بلغت عتيّ مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم ... فبكت لها بعيونها وقلوبها
فعجبت للازهار كيف تضاحكت ... ببكائها وتبشرت بقطوبها

وتسربلت حللاً تحير ذيولها من لدنها فيها وشق جيوبها
فلقد أجاد المزن فى انجادها وأجاد حر الشمس فى ترتيبها

﴿ الكلام على الزهر ذى الاقفال والمفاتيح ﴾

(والزهر ذى الحراس . والزهر ذى الجند)
(والزهر ذي السياسة الحقيقية والوهمية)

« الزهر ذو المفاتيح والاقفال وذو الحراس »

(ا) بلغنى ان في بلاد أوروبا زهراً له مفاتيح وآخر له حراس فهل لذلك من حقيقة ؟

(ب) هناك زهر يسمى (سلفس) وآخر يقال له زهر الاشراف والنساء . فالاول ذو المفاتيح . والثانى ذو الحراس

الاول وضع الله فيه على فم الانبوبة المكونة من اوراق التعويج ساقاً معرضاً على فمها كأنه مغلاق لذلك الباب فأي حشرة تريد الدخول عجزت عن ذلك فاذا جاء صاحب الامانة ألا وهو النحل أزال ذلك الساق من مكانه ودخل فشرب . وفى أثناء دخوله يكون هناك ساق آخر محكم الوضع على ظهره

يحمل الطلع فينزل عليه منه مقدار فيحمله الى زهرة أخرى . فتأمل سيدى كيف جعل احد الساقين قفلا لباب الزهرة والآخر كأنه يد ملأى بدقيق الطلع فتضمه على ظهر النحلة . والامر الاعجب من هذا أن هذه النحلة عينها اذا ذهبت الى الزهرة الانثى رأيت امراً عجيباً . رأيت الاوراق العليا منها مرتفعة هي وعضو التأنيث حتى ان تلك النحلة اذا دخلت تشرب العسل لم يتيسر لها مس عضو التأنيث لارتفاعه جداً فانظر ما ذا حصل . وضع فى نهاية عضو التأنيث ذراع طويل الى أن يلامس النحلة فيمسح ظهرها ويأخذ الطلع الذى التقطته (فتبارك الله أحسن الخالقين) (وفى الارض آيات للموقنين) أليس هذا مصداقا لقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين) كأن وجود الزوجين من النبات داعٍ حثيث للتأمل فى هذا العالم كأنه يقول هذا أمر خفي فتذكروا وجدوا فيه ومتى عرفتموه قربتم من الله تعالي وهذا بعينه ما صرح به العلامة جون لوبك الانكليزى (ان من وقف على أسرار الأزهار

أمكنه أن يفتح كنوزاً من الاسرار الخفية) فتأمل وانظر كيف جد القوم فى فتح كنوز مقفلة في القرآن ونحن عنها غافلون . ولقد صرح به القرآن في آية أخرى (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) فانظر كيف ذكر الازواج فى النبات وقال انه تبصرة وذكرى ولكن يا للاسف اننا تركنا التبصر فيه . وإنى لفي غاية العجب من هذا السر الخفي كيف يذكر فى القرآن وكيف يبحث عنه علماء الغرب وكيف يقول عالمهم ان هذا سر به تفتح أسرار الطبيعة . ألا فليتأمل معي اهل العقل والعلم وليتفكروا ولينظروا . فانى اقول هذا وأنا محترق الفؤاد على ضياع العلم من بلادنا ورضائنا بالقشور ونبذ اللب (إنا لله وإنا اليه راجعون)

﴿ الزهر ذو الحارس ﴾

(ا) عرفت الزهر ذا المفاتيح والاقفال فما زهرة الخفراء

(ب) هذه الزهرة موضوعة على هيئة قارورة يحمل فمها

شعرات واقفات فتأتى الحشرات الصغار اليها من الذباب والفراش الجاهلات ليقيها الحر والبرد ولا يدخلها النمل لعلمه بما فيها من الخطر فاذا دخل الذباب وقفت لها تلك الشعرات بالباب ومنعتها الخروج فاخذت تثب وتسقط فى وسط الزهرة وهناك الاعضاء الملتحة الذكور وتحتها الملقحة الاناث — وقد أينعت الاولى وحان قطافها ولم يأن للثانية أن تُلقَح — فاذا اضطرب ذلك الذباب سقط الغبار الذى فى اعضاء التذكير على ظهوره وفى الوقت عينه تذبل تلك الشعرات الخافرات على فم الزهرة فيخرج الذباب آمناً فى سربه طائراً في الهواء ذاهباً الى زهرة أخرى قد فعل بها مثل هذا فيدخلها للاحتماء بها فيقع الطلع على الانثى ويخرج آمناً مطمئناً . أليس هذا مما صدق عليه قوله تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى إلا ذكرى للبشر) وقوله (يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذي مدَّ الارض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) هذا وبعض الزهر

لم تكن بالامس يظنها من رآها انها — أي الشجرة — قد أدبر شبابها واقبل هرمها فاذا كان مساء اليوم الثانى رأيت الخمس الاخرى التى كانت مغمضة الاجفان قد استيقظت من نومها وبعثت من مرقدها وقامت بالمظهر الذي فعلته ما قبلها ورجعت الشجرة كالعروس تتجلى فى الظلمة حتى تتزود الحشرات من طلعها كما كانت في اليوم الاول فاذا جاء صباح اليوم الثالث ذبلت . وفى المساء الثالث تظهر الاناث منتظرة الحشرات محضرة لها الطلع من زهر آخر كما حملته من ذكور هذه الشجرة فى اليومين السابقين . وهذا من فوائد تلقيح الحشرات بحيث ان الانثى من زهرة تلقح من ذكر الاخرى وبالعكس

﴿ زهر غريب محكم الترتيب ﴾

(ا) من الورد نوع يشاهد الناس في زهره انابيب التذكير مستطيلة تساوي اوراق الزهرة فى الطول وانابيب التأنيث تصل الى نصف تلك المسافة وازهار أخرى من ذلك

النوع بالعكس . فترى انابيب التأنيث تستطيل الى اطراف اوراق الزهرة وأعضاء التذكير على النصف من ذلك . ولو نظرنا مائة شجرة من هذا النوع لوجدنا النوعين من ذلك الزهر متساوين بحيث تكون ذات الاناث الطويلة تساوي فى العدد ذات الذكور الطويلة فهل تعرف سيدي هذا ؟

(ب) ان هذا الزهر وضع مناسباً للنحل وذلك أن النحلة اذا مدت خرطومها الطويل وصل الى اسفلها لشرب العسل ولامس عضو التذكير الطويل فحمل منه طلعاً فاذا راح الى ذات عضو التذكير القصير أخذت الانثى المستطيلة ذلك الطلع لمرور الخرطوم بحذائها لمساواتها الاوراق وهكذا في الأعضاء القصيرة فيأخذ النحل بخرطومه من كل عضو الى ما يناسبه في الزهرتين فتأمل كيف تساوى عدد النوعين من هذا الزهر . وتعجب كيف كان طولها واحداً فى جميع الازهار اما للانصاف أو النهاية وكيف كان خرطوم النحلة اذا لامس عضواً فى زهرة يلامس نظيره فى الاخرى بحيث لا يختل شعيرة في مقدار طولها . ولعمرى لو سئلت هذه

الزهرة لقرأت بلسان الحال (انا كل شيء خلقناه بقدر) ولو سئلت تلك النحلة لقرأت (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) ولقرأت (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) اذ انه تعالى وضع مقداراً لكل شيء فى ام الكتاب عنده فلا يضيع حشرة ولا دابة ولا حيواناً صغيراً ولا نباتاً حقيرا ولا زهرة ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين

﴿ نوم الزهر ﴾

(ا) رأيت فى بعض الكتب ان الزهر ينام فهل لهذا حقيقة واذا صح فلم ينام؟ النوم في الحيوان سبب معروف وليت شعري ما سبب نوم النبات يجد الحيوان في قوته ويتعب فى تحصيله فاذا جن الليل خارت قواه فتعب فنام . أما النبات فما سبب نومه ؟ وبعض النبات لا ينام أبداً وآخر ينام صباحاً ويستيقظ مساء وآخر بالعكس ومن الاول ما يستيقظ في الساعة الرابعة

صباحاً أو السابعة أو الثامنة أو التاسعة او العاشرة ثم تغمض اجفانها بعد الظهر فى اوقات مختلفة اما فى الساعة الثانية او الثالثة أو الرابعة وهكذا . ما الحكمة في ذلك

(ب) يختلف نوم الزهر وانطباق أوراق الزهرات باختلاف الحشرات التى تأكل منها فالنحل يعتاد اليقظة نهاراً فترى الازهار التى خصصت له تفتح عيونها نهاراً حتى يشرب منها العسل رفقاً بالفريقين ومنفعة للطائفتين . اما الازهار المخصصة للحشرات الاخرى فلا تفتح اوراق ازهارها غالباً الا مساء فى الغلس اذ لتلك الحشرات غدوات وروحات في ذلك الحين فلا جرم تفتح لها ولعمرك لو عكس الامر فافتح النهارى الصباحى بالمساء والمسائى بالصباح لسرق العسل فأخذه ما لا يبذل له ثمناً ممن يخصص لذلك العمل ويعتدى كل فريق على ما للآخر فيتضرر الحيوان ولا يلقح النبات فتمت الحكمة فمفاتيح هذه الازهار بيد القدرة الآلهية تفتحها وتقفلها لا دخل للشمس ولا للقمر فيها والا فلماذا تنام الزهرة المسماة (حنا ذهب لينام) فى وقت الهجيرة حتى ان اولاد الفلاحين فى

اوروبا يعرفون مواعيد الغذاء بنومها فلو كان للشمس دخل في تفتيح الازهار لكان اولى الاوقات بانفتاحها وقت الظهيرة والحشرات تختلف اوقات قيامها لطلب معاشها في ساعات النهار فكل زهرة تفتح في الوقت المعين لحشراتها التي خصصت لها بالحكمة الالهية (ذلك تقدير العزيز العليم)

وكأن الشاعر العربي الاندلسي نظر لهذا المعنى فقال

وعلى سماء الياسمين كواكب ... ابدت ذكاء العجز عن تغييبها
زهر توقد ليلها ونهارها ... وتغوث شأوخسوفها وغروبها

(ذكاء) الشمس وهذا باعتبار المجموع لا الجميع

(ا) من الازهار ماهو احمر واصفر وأبيض وازرق فهل لهذا من حكمة وبعضها ذو ريح طيبة دائما والآخر لا تذكو رائحته الا وقت المساء

ينسب الى عنترة العبسي هذه الابيات من زهرية له

زار الربيع رياضنا وزهى بها ... فبناتها حليت بأنواع الحلى
يزهو بأحمر كالعقيق وأصفر ... كالزعفران وابيض كالسنجل
وبنفسج يزهو اذا عاينته ... انار نقش في ذراع ممتلى

(ب) ان الزهرات الحمر والزرق خصصت غالباً بالنحل وهو مغرم بهذين اللونين عاشق لهما فكانا داعيين الى الافتتان بهما ولا جرم ان في الاحمر والازرق من الجمال ما ليس في الابيض والاصفر أما الآخران فانما يكونان في الازهار التي تمتص منها بقية الحشرات غالباً وقدمنا ان الحشرات اغلب ما يكون خروجها مساء (صنع الله الذي أتقن كل شيء) ولا ريب ان اللون الابيض والاصفر يناسبان وقت الغلس إذ تتجلى فيه الصفرة والبياض أما الحمرة والزرقة فسلطانهما انما يكون بالنهار . فاقتضت حكمته جل جلاله أن يتناسب الزهر واللون والحشرات في الصباح والمساء ويتجلى البياض مساء والحمرة والزرقة نهاراً وهكذا تلك الزهرات الصفر والبيض تذكو رائحتها مساء لتهدي اليها حشراتها وتساعد الرائحة اللون على جذبها ولو أبدل البياض بالحمرة لم تعرفها الحشرة أو لم تذك الرائحة لضعف الداعي

تأمل في رياض الارض وانظر ... الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... على ورق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

﴿ نهاية ﴾

نقل السير (جون لبك) عن ارسطاليس اليونانى انه شاهد أن النحلة تذهب من زهرة الى اخرى من نفس ذلك النوع وقال انها منفعة للفريقين النبات والنحل . أما النبات فان الطلع الذي اخذ من الذكر لا يضيع بسقوطه على زهرة من نوع آخر . وأما منفعته للنحلة فأنها تعرف طريقها ولا تغيره ولا تضيع الزمن فى اخذ دروس جديدة عن كل زهرة وتجارب حتى تضيع قوتها ويذهب زمانها سدى وهذا بعينه ماقاله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) فقوله سبل ربك ذللا أى ان طرق ربك فى الازهار مسهلة لك من الله لا تلتبس عليك لأنها فى نوع واحد من الاشجار التى ارادتها في الزمان المخصص لها والله اعلم

وإنى لموقن أن هذا هو عين التوحيد وكيف يقول الله تعالى (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) وترى جاهلا يقول هذا خارج عن الدين مع انه لايقين ولا إيمان الا بمعرفة هذه البدائع . وهذا سر تأخر المسلمين اليوم عن مصاف الامم . وعندي انه يجب على علماء الاسلام قاطبة أن يتعلموا ويعلموا هذه المعارف التي أجلها علم الكيمياء والطبيعة التي هى سر التوحيد . ويا ليت شعري كيف انعكست الاحوال وأصبح ما هو أصل الدين خارجا عنه حتى ظن المسلمون أنها خاصة بالافرنج . وفى كتابنا هذا وكتبنا السالفة ما فيه غنى للاذكياء فمن أرادها للعلم فيها ونعمت . ومن أرادها لليقين فهو أفضل ولقد أطلنا في الزهر وعجائبه وغرائبه ووضعناه فى قسم النبات تعجيلا للفائدة وإحضاراً للمسرة فى الاذهان قبل الاطلاع على كتابنا « نظام العالم والأمم . » وإلى هنا تم القسم الرابع وهو قسم النبات

﴿ القسم الخامس ﴾

في ترتيب الحيوانات ترتيباً إجمالياً وكيف كانت درجات بعضها

فوق بعض كترتيب أصناف النبات وشرح دائرة الوجود التى ذكرها الأقدمون، وما المناسبة بينهما وبين مذهب (داروين)

﴿ القسم السادس ﴾

فى الانسان . ولقد رتبناه ترتيباً طبيعياً فذكرنا هيكله الظاهري بعبارة مختصرة ثم ذكرنا ما شرحه الرياضيون فى مقياسه وكيف كانت قامته ثمانية اشبار بشبره واذا مدَّ يديه الى أعلى فهو عشرة اشبار واذا مدهما الى الجانبين فهو ثمانية اشبار فعرضه إذ ذاك كطوله وان طول قدمه كطول وجهه وهكذا ثم أذكر التشريح بشرح واف حتى يظهر للمتأمل بأجلى عبارة وإن لم يزاول هذا الفن

﴿ القسم السابع ﴾

فى علم النفس وإيضاح هذا الفن ايضاحا تاماً بحيث يفهمه المتوسطون فهماً واضحاً جلياً ظاهراً ويقفون على ما صعب من مرموزات الحكماء والعلماء بأسهل عبارة

﴿ القسم الثامن ﴾

فى علم سياسات الامم واحوالها وكيف يستند هذا على

الاعتقاد والايمان وما وحدات الامم وهى ١٢ منها ٧ عامة و ٥ خاصة وما آراء اهل المدينة الفاضلة وكيف كانت هذه السياسات المشاهدة الآن معروفة من قبل وكيف تكون الامة كالانسان الواحد وترتيب عمال الحكومة على مقتضى اعضاء الجسم التشريحي حتى يفهم قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وكيف أخطأ قوم من المحدثين فى العلم ان هذا اكتشاف اوروبي . وها انا قد استخلصت زبدة آراء اهل المدنية الفاضلة للفارابى واستخرجت اللب من القشر ونبذت النوى فى الاجزاء السادس والسابع والثامن من هذا الكتاب هنيئاً مريئاً لاولى الالباب

﴿ القسم التاسع ﴾

فى العمران الاسلامى والسعادة والاختبار والعمل وكيفية توزيع الاعمال على الافراد وما حكم الشريعة فيها وفروض الكفايات ثم نذكر أنواع العلوم والصنائع التى يجب تعلمها على الامم الاسلامية فى هذا الزمان وطرق التعليم وما يجب على العلماء أن يسلكوه وحكمة النسخ فى الآيات والاحاديث

وما مناسبتها للأحوال التى نحن عليها الآن وما حكمته بالنسبة لنا وما يجب على المسلمين ان يعملوه فى سياساتهم وأحوالهم الآن ثم نذكر وجوب استعمال العقول وترك الفضول وانتهاج خطة الشرع . ثم نذكر ما الواجب على ملوك الاسلام وامرائه من التعاون والمحبة . ثم تذكر قصص القرآن والروايات وتاريخها وما ثمرانها في الامة وما يجب علينا اتخاذه بالنسبة لها الآن . وكيف كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيها وما الغرض منها وما الذى طرأ عليها فى الاسلام . ثم نذكر علو الهمم وتشويق الأفراد اليها وما خطة القرآن فى ذلك وما تنهجه الامم لعلو شأنها . ثم نذكر ما يجب على كل طائفة من طوائف الناس من فهم آيات تناسب ماخلقوا له . ثم نذكر حكمة التكليف بما غاب عنا . ثم الخاتمة فى ذكر السياحات وفوائدها شرقاً وغرباً واستطلاع مافي البلدان الشرقية والغربية الى غير ذلك من المباحث النافعة العمرانية والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

تم بعون الله

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
محتججيا	محتجبا	٩	٢
ستر	سترا	٩	٢
لاتنساتي	لاتنسانى	١٤	٩
الصنائع	الصناعات	٢٢	١٥
ليشتق	ليشتقوا	٢٢	١٦
الصنائع	الصناعات	٢٣	٢ و ٤
ايرز	ابرز	»	٤
قرحبا	فرحبا	٣٢	٦
النمل	النحل	٤٤	٤

صحيفة ﴿ فهرست كتاب الزهرة ﴾

٤ المقدمة
٧ مقارنة بين علماء المشرق والمغرب
٧ ما قاله الغزالى فى باب الحب فيما يدل على الله
٩ ما قاله جون لبك فى ذلك
١٢ ما ورد فى القرآن وان ذلك كله قبسة منه
١٣ سلف الافرنج والقتال بين آلهتهم
١٧ مقارنة ذلك بما كان يعرفه العرب من القرآن
٢١ القرآن والمسلمون ومتأخرو الافرنج .كلام الحكيم سنيكا
٢٣ وحكيم آخر.ذكر ان هذا قبسة من القرآن
٢٥ مقاصد كتاب نظام العالم والامم. القسم الاول فى شوق النفوس الى العلم
٢٦ القسم الثانى في الافلاك
٢٧ القسم الثالث فى عجائب الجمادات
٢٨ تساوى الاحجار والكواكب في سقوط الاولى وسير الثانية بنظام وان هذا مقاصد القرآن . القسم الرابع فى النبات

٢٩ آكل عين ما ابس وابس عين ما آكل
٣٠ الازهار ونظامها وكلام الاوربيين فيها
٤٠ الزهر الذى له مفتاح وقفل
٤ الزهر الذي له حراس
٤٤ الحشرات والنحل وانها كالدول فى السياسة
٤٥ الزهر المنظم كالجند
٤٨ نوم الزهر
٥٢ معجزة للقرآن فى الزهر
٥٣ القسم الخامس في ترتيب الحيوان
٥٤ القسم السادس فى الانسان وان طوله كعرضه اذا مد يديه وهو ثمانية اشبار بشبره — القسم السابع في علم النفس القسم الثامن فى علم سياسة الامم
٥٥ القسم التاسع فى العمران الاسلامي

﴿ تم ﴾

﴿ مؤلفات مطبوعة للمؤلف تطلب من المكاتب الشهيرة ﴾

جواهر العلوم

ميزان الجواهر

النظام والاسلام

الفرائد الجوهرية في الطرف النحوية

كتاب الزهرة

جواهر الانشاء

ويطبع الآن كتاب جمال العالم ويطلب من حضرة الفاضل محمد افندي مسعود المحرر بالمؤيد

نظام العالم والامم تحت الطبع